قصة بناء الكعبة المشرفة للأطفال

هاجر نبي الله إبراهيم عليه السلام برفقة زوجته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام إلى جبال فاران التي هي أرض مكة، إلى أن وصلوا إلى مكان البيت عند دوحة ماء زمزم في أعلى المسجد، ولم يكن يسكن في هذه المنطقة في ذلك الزمان أحد، ولم يكن فيها طعامٌ ولا ماء، فأعطى نبي الله إبراهيم لزوجته ما يحمله من الطعام والشراب وكان عبارة عن جراب يحوي تمراً وبعض الماء، وهمّ بالمغادرة عنهما، فلحقت به هاجر عليها السلام وخاطبته قائلةً: يا نبي الله إلى أنت ذاهب؟ وكيف ستتركنا في هذا المكان الموحش لوحدنا حيث لا ماء ولا طعام ولا أناس نألف بوجودهم من حولنا، فلم يردّ عليها نبي الله إبراهيم عليه السلام وتابع سيره مغادراً ولكنها تبعته وكررت على مسمعه نفس الكلام، وفعلت ذلك عدة مرات ونبي الله إبراهيم عليه السلام لا يردّ عليها، عندها علمت هاجر عليها السلام أن فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام ليس من أمره وإنما هو أمر الله له، فأرادت أن تتأكد فسألت قائلةً: هل الله تعالى هو من أمرك بذلك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم، فلم يكن من هاجر إلا أن رضيت بأمر ربها ورجعت إلى ولدها، فتابع إبراهيم عليه السلام سيره إلى أن وصل إلى مكان بعيد بحيث لا يرونه ولكنه يراهم ورفع يديه إلى السماء ودعا قائلاً: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} سورة إبراهيم الآية 37 ثم غادر بعيداً.

فبدأت أم إسماعيل تأكل من تلك التمرات وتشرب من ذلك الماء وتتقوى لترضع ابنها إسماعيل إلى أن نفذ ما لديها من الطعام والشراب وبدا على إسماعيل الجوع والعطش، فنظرت حولها لتبحث عن الطعام والشراب فوجدت أن أقرب مكان منها هو جبل الصفا، فسعت إليه فلم تجد شيئاً هناك، فاستقبلت الوادي فلم تجد فيه أحداً فسعت نحو المروة فلم تجد لا طعاماً ولا ماءً فكررت سعيها سبع مرات بين الصفا والمروة وهو سبب جعل عدد مرات السعي بين الصفا والمروة هو سبعة أشواط، فلما اقتربت من الوصول إلى المروة في المرة الأخيرة سمعت صوتاً فإذا هو ملكٌ مرسلٌ يقف عند موضع ماء زمزم، فضرب هذا الملك بجناحه إلى أن خرج الماء فأقبلت تشرب منه وتغرف في سقائها وهو يفور فشربت وأرضعت ولدها، وظل يفور وينبع من نبع زمزم، وفي وقت لاحق مر أناس من جرهم من مكة ونزلوا بأسفلها، فرأوا طائراً من بعيد فقالوا في أنفسهم لا بد أن يكون هذا الطائر يحوم حول الماء فتوجهوا تجاه المكان الذي كان يحوم حوله ذلك الطائر وهو موضع الماء فوجدوا أم إسماعيل فسألوها المكوث في ذلك المكان، ولكن أمّ إسماعيل كانت تخشى أن يقل الماء ويحلّ بها ما حلّ قبل أن يخرج ماء زمزم، فقبت بمكوثهم بشرط أن يكون الماء لها، وكان في مكوثهم أنساً ألفةً لأم إسماعيل، فنزل أولئك الأناس في مكة وبعثوا إلى أهليهم فجاءوا إليهم، وعاشوا هناك، وعندما كبر إسماعيل عليه السلام تزوج امرأة منهم، فعاد إبراهيم عليه السلام إلى مكة ليتفقد ابنه فجاء إلى بيته وسأل عنه فخرجت زوجته فسألها عن إسماعيل فقالت خرج يبحث لنا عن الزاد، وسألها عن أحوالهم فشكت وتأففت، فقال لها إبراهيم عليه السلام: أقرئي إسماعيل مني السلام وأخبريه أن يغير عتبة بابه، ثم غادر، وعندما عاد إسماعيل إلى بيته أخبرته زوجته بما قاله لها إبراهيم عليه السلام، ففهم قصده فطلقها، وتزوج بامرأة أخرى، فعاد ابراهم عليه السلام بعد مدّة فخرجت زوجة إسماعيل الثانية، فسألها إبراهيم عن ابنه، فقالت خرج يبحث لنا عن الزاد، وسألها عن أحوالهم فقالت بخير وأثنت على الله وحمدته، فقال لها إبراهيم عليه السلام: أقرئي إسماعيل مني السلام وأخبريه أن يبقي عتبة بابه، ثم غادر، ففعلت ذلك زوجته فقال لها إنه كان أبي إبراهيم وقد أمرني أن أبقي عليك.

ثم غاب إبراهيم ما شاء الله أن يغيب ثمّ عاد إلى مكة وكان إسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريبة من ماء زمزم، فلما رآه قام إليه وسلما على بعضهما كما يسلم الأب على ابنه والابن على أبيه بعد طول الغياب، ثم أخبر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل أن الله تعالى قد أمره ببناء الكعبة في الموضع الذي بوأه إياه أي أرشده إليه، قال تعالى: { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} سورة الحج الآية 26، فما كان من إسماعيل ألا أن وافق أباه وأيده وأعانه على أمر ربه، وعند ذلك الموضع بدأ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام برفع القواعد ووضع الحجارة، حتى إذا ارتفع البناء كان إبراهيم يبني وابنه إسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}